
عجائب السندباد

القصص المدرسية

عجائب السندباد

تأليف

عبد الرحيم الكتاني و عبد الحق الكتاني

نشر : دار الثقافة - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر

طبع واخراج الدار التونسية للنشر

54 شارع الحرية - تونس الهاتف : 873 - 285 878 - 285

يُحْكى أَنَّ رَجُلاً اسْمُهُ السِّنْدِبادُ ، كانَ يَعيشُ في مَدينَةِ بَغدادَ ، وَكانَ يَشْتَغِلُ بِالتِّجارَةِ في الأَثْوابِ الرَّفيعَةِ ، وَكانَ إِلى جانِبِ ذٰلِكَ فَرِحاً نَشيطاً تُعْجِبُهُ الفُكاهَةُ ، وَيَلَذُّ لَهُ الجُلوسُ مَعَ الْجَماعَةِ ، وَكانَ يُطيلُ السَّمَرَ حَتّى يَطْلُعُ عَلَيْهِ النَّهارُ ، وَهُوَ أَثْناءَ ذٰلِكَ بَيْنَ رَقْصٍ وَطَرَبٍ ، وَلَهْوٍ وَلَعِبٍ ، وَكانَ ذٰلِكَ يُكَلِّفُهُ غالِياً ، فَيَدْفَعُ الأَموالَ بِدونِ حِسابٍ .

وَذاتَ يَوْمٍ اشْتاقَ إِلى السَّفَرِ ، وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِالأَرْباحِ الطّائِلَةِ التي يَكْسَبُها التُّجّارُ في الْبُلْدانِ الْبَعيدَةِ وَأَرادَ أَنْ يُغامِرَ كَغَيْرِهِ في رُكوبِ الْبَحْرِ ، وَيُشاهِدَ عَجائِبَ الدُّنيا في أَرْضِ

اللهِ الْواسِعَةِ فَأَعدَّ عُدَّتَه ، وَجَمعَ أنْواعاً مِنَ السِّلَعِ وَالْبضَائِعِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَحَملَ ذٰلِكَ إلى الْبَصْرَةِ ، وَمِنْها إلى المَرْكَبِ الذّي أَخذَ فيـــهِ لِنَفْسِهِ وَبِضاعَتِهِ مَكاناً مُناسِباً كَفَرْدٍ مِنْ جَماعَةِ التُّجّار .

ثُمَّ إنَّ المَرْكَبَ أَقْلَعَ على بَرَكَةِ اللهِ ، وَأَخذَ يَشُقُّ عُبابَ الْبَحْرِ ، وَيَتَمايَلُ على أَمْواجِهِ الصّاخِبَةِ ، تَدْفَعُهُ الرِّياحُ في أَمانِ اللهِ وَحِفْظِهِ . وَوَقَفَ التُّجّارُ هُنا وَهُناكَ يَتَحَدَّثونَ عَنِ الْبُلْدانِ، وَعَنِ الأَرْباحِ التّي يُصيبونَها عادَةً كُلّما انْتَقلوا وَابْتَعَدوا عَنْ أَوْطانِهِمُ الْعَزيزَة .

وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ مِنَ المَسيرِ ، وَالتَّوَغُّـــلِ في الْبَحْرِ ، كانَتْ كُلُّها نَشاطـــاً وَشَوْقاً إلى الوُصولِ ، هَبَّتْ عاصِفَةٌ هَوْجاءُ ، فَتَمَزَّقَ شِراعُ المَرْكَبِ ، وَطَفِقَتِ الأَمْطـــارُ تَهْطِلُ بِغَزارَةٍ ، فَخَفَّ التُّجّارُ إلى بَضائِعِهِمْ ، يُغَطّونَها خَوْفَ الْبَلَـلِ وَالْفَسادِ

وَقدْ أَصابَهُمْ خَوْفٌ كَبِيرٌ وَهَلَعٌ عَظيم ، خصوصاً عِنْدَما صارَ المرْكَبُ يَتأرْجحُ بَيْنَ الأَمْواجِ العالِيَةِ ، التي تكادُ تبْتَلِعُـهُ كَأَنَّهُ ورَقَةٌ يابِسَةٌ في مَهبِّ الرّيحِ . أَمّا رُبّانُ المرْكَبِ فَقدْ شَمَّرَ عَنْ ساعِدَيْهِ ، وَشدّ حِزامَهُ ، وَتسلَّقَ السّارِي ، وَأَخذَ يَلْتَفِتُ يمنَةً وَيسْرَةً . وَبَيْنَما كانَ التُّجّارُ يَنْتَظِرونَ أَنْ يُخبِرَهُمْ عَنِ اقْتِرابِ مَرْكَبِهِمْ مِنَ ٱلبَرِّ ، كَيْ يَنْزِلوا إِلى الأَرْضِ لِلرّاحَةِ وَالاسْتِعْدادِ مِنْ جَديدٍ ، إِذْ أَخَذَ الرُّبّانُ يَلْطِمُ وَجْهَهُ ، وَيَنْتِفُ لِحْيَتَهُ ، وَيَصيحُ بِصَوْتٍ عالٍ :

ـ وَيْلاهُ ! وَيْلاهُ ، لَقَدْ هَلَكْنا .

فَسأَلَهُ الرُّكّابُ عَمّا أَصابَهُ أَوْ أَصابَهُمْ فَأَجابَ :

ـ يا قَوْمُ ، أُطْلُبوا النَّجاةَ ، واسْتَغْفِروا رَبَّكُمْ ، لَقَدْ وَقَعْنا في مُصيبَةٍ كُبْرى ، وَدِّعوا أَنْفُسَكُمْ وأَصْدِقاءَكُمْ ، وَابْكُوا ما طابَ لَكُمُ البُكاءَ ، إِنَّ هَذِهِ ٱلعاصِفَةَ قَدْ ساقَتْنا

إِلى آخِرِ بِحارِ الدُّنْيا ، وَهُوَ مَكانٌ لا يَنْجو مِنْهُ أَحَدٌ ، إِنَّهُ مَوْطِنُ الْجانِّ والْحَيّاتِ الْمُدْهِشَةِ ، والْحُوتِ الْعَظيمِ ، فَاخْتاروا لِأَنْفُسِكُمْ كَيْفَ تَموتونَ .

ما كادَ الرُّبّانُ يُتِمُّ كَلامَهُ ، حَتَّى أَصابَ النّاسَ فَزَعٌ عَظيمٌ ، واندِهاشٌ كَبيرٌ ، وَأَصْبَحوا لا يُبالُونَ بِمَتاعِهِمْ ، بِقَدْرِ ما يُفَكِّرونَ فِي مَصيرِهِمْ وَمُحاوَلَةِ النَّجاةِ مِنْ قَبْضَةِ الْمَوْتِ الَّذي يَنْتَظِرُهُمْ .

ثُمَّ أَخَذَ الْمَرْكَبُ يَرْتَفِعُ عَلى أَمْواجِ الْبَحْرِ بِشَكْلٍ مُدْهِشٍ ، ثُمَّ تَنْفَتِحُ لَهُ تِلْكَ الْأَمْواجُ مَرَّةً أُخْرى ، كَأَنَّها تُريدُ أَنْ تَبْتَلِعَهُ فَيَغوصُ فِي الْماءِ ، حَتَّى لا يَكادُ الرُّكّابُ يَرَوْنَ شَيْئاً ، وَلَمْ يَعُدْ واحِدٌ مِنْهُمْ يَسْتَطيعُ الْوُقوفَ عَلى رِجْلَيْهِ دونَ أَنْ يَشُدَّ نَفْسَهُ إِلَى عَمودٍ أَوْ كُرْسِيٍّ ثابِتٍ .

ثُمَّ إِنَّهُمْ سَمِعوا صَرْخَةً عُظْمى كَأَنَّها الرَّعْدُ القاصِفُ ، وأيْقَنَ الْجَميعُ بِالْهَلاكِ عِنْدَما ظَهَرَ حُوتٌ كَبيرٌ يُسَمّى وَحْشَ الْبَحْرِ ، بِإِمْكانِهِ أنْ يَبْتَلِعَ الإِنْسانَ في لُقْمَةٍ واحِدَةٍ فَأَجْهَشوا جَميعاً بِالْبُكاءِ يَسْتَغْفِرونَ اللهَ مِنْ ذُنوبِهِمْ وَيَطْلُبونَ مِنْهُ النَّجاةَ ، وكَثيرٌ مِنْهُمْ أصابَهُ الْيَأْسُ ، فَأَخَذَ يُوَدِّعُ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَأَوْلادَهُ .

ثُمَّ ظَهَرَ حُوتٌ ثانٍ وثالِثٌ ، فَنَسِيَ النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ ، وأَخَذوا يَبْكُونَ ، وَيَتَعَجَّبونَ مِنْ خِلْقَةِ هَذا الْحُوتِ ، شَكْلاً وَحَجْماً ، في حِينِ جَعَلَ الْحُوتُ يَطوفُ بِالمَرْكَبِ مُحاوِلاً أنْ يَبْتَلِعَهُ مَرَّةً واحِدَةً ، بِما فيهِ مِنْ رُكّابٍ وَسِلَعٍ وَبَضائِعَ .

وَبَيْنَما هُمْ كَذلِكَ ، إِذِ انْقَلَبَ المَرْكَبُ فَجْأَةً مِنْ شِدَّةِ تَلاطُمِ الأَمْواجِ ، وَعَصْفِ الرِّياحِ ، وَحَرَكَةِ الْحُوتِ ،

وَتناثَرَتْ أَلْوَاحُهُ وأَخْشابُه تَتَقاذَفُها الأَمْواجُ ٱلْعالِيَةُ ، وَأَمْكَنَ لِلْحوتِ إِذْ ذاكَ ، وَهُوَ يَطْفو مَرَّةً عَلى وَجْهِ الماءِ ، ويَغوصُ أُخْرى أَنْ يَبْتَلِعَ بَعْضَ السِّلَعِ والرُّكّابِ سَواءٌ مِنْهُمْ ٱلْغَرْقَى الَّذينَ لا يَعْرِفونَ السِّباحَةَ ، أوِ الَّذينَ ما يَزالونَ في صِراعٍ مَعَ المَوْتِ ، يَتَخَبَّطونَ بَيْنَ ٱلْأَمْواجِ .

أَمّا صاحِبُنا السِّنْدبادُ فَقَدْ تَعَلَّقَ بِلَوحٍ مِنْ أَلْواحِ المَرْكَبِ ، بَعْدَما ضاعَتْ سِلَعُهُ ومَلابِسُهُ ، وَغَرِقَ أَصْحابُهُ أَوْ راحوا طَعاماً لِحيتانِ ٱلْبَحْرِ . وجَعَلَ المِسْكينُ يُقاوِمُ المَوْتَ بِجَهْدٍ كَبيرٍ ، فَقَدْ أَصْبَحَ مَرْكَبُهُ خَشَبَةً يَقْذِفُها المَوْجُ أَيْنَ يَشاءُ ، وهُوَ بَيْنَ أَمَلٍ ويَأْسٍ يُجَذِّفُ بِرِجْلَيْهِ ، ويَتَذَكَّرُ النِّعَمَ الَّتي كانَ يَسْتَهينُ بِها في أَوْقاتِ الرَّخاءِ قائِلاً :

ــ ما أَسْوَأَ حَظّي ، وما أَقْبَحَ الطَّمَعَ ! أَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَكْبَرِ الْأَغْنِياءِ في ٱلْبَلَدِ ، أَرْبَحُ وأَفْرَحُ ، أَلْهو وَأَطْرَبُ ،

ما لي ولِهَذِهِ المُغامَرَةِ الَّتي أوْدَتْ بِحَياةِ التُّجّارِ مِثْلي ، وسَتَقْضي عَلَيَّ كَذَلِكَ لا مَحالَةَ ؟ ثُمّ بَكى وَاسْتَغْفَرَ ، وَنَذَرَ لِرَبِّهِ نَذْراً عَظيماً إنْ هُوَ نَجا مِنَ الْغَرَقِ ، وأنْقَذَهُ اللهُ مِنَ الْهَلاكِ .

وبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ ، إذْ لاحَتْ لَهُ مَعالِمُ الْبَرِّ ، مِنْ طُيورٍ وارْتِفاعاتٍ ، فَجَعَلَ يَدْفَعُ اللَّوْحَ بِفَرَحٍ وابْتِهاجٍ داعِياً اللهَ أنْ يَحْفَظَهُ هَذِهِ المَرَّةَ فَقَطْ ، إذْ لَنْ يَعودَ إلَى مِثْلِ هَذِهِ المُغامَرَةِ الْعَجيبَةِ ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ مُدَّةَ ساعاتٍ مِنَ الزَّمَنِ ، وقَدْ أنْهَكَهُ التَّعَبُ ، ، فاشْتَدَّ بِهِ الْبَرْدُ ، إلَى أنْ وَصَلَ إلَى جَزيرَةٍ خالِيَةٍ ، إلاَّ مِنَ الأشْجارِ وبَعْضِ النَّباتاتِ المُخْتَلِفَةِ ، فَرَمى بِنَفْسِهِ عَلى الأرْضِ مَنْهوكَ الْقُوى ، وَبَقِيَ لَيْلَتَهُ كَذَلِكَ لا يَعِي ولا يَعْرِفُ حالَهُ .

ولَمّا جاءَ الصَّباحُ ، اسْتَيْقَظَ فَإذا هُوَ عُرْيانٌ ، جائِعٌ

خائِفٌ ، ضائِعٌ وَسَطَ عالَمٍ مَجْهولٍ . وبَعْدَ مُدَّةٍ ، تَقَدَّمَ نَحْوَ الْأَشْجارِ يَلْتَهِمُ ما عَلَيْها مِنْ فَواكِهَ وَثِمارٍ لا يَعْرِفُها ، وَيَشْرَبُ مِنْ ماءِ أَنْهارِ الْجَزيرة .

مَضَتْ عَلى السِّنْدِبادِ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ ، وهُوَ لا يَدْري أَيْنَ يَتَّجِهُ ، وَماذا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَ ، وأَخيراً قَرَّرَ أَنْ يَصْنَعَ فُلْكاً مِنْ خَشَبِ الْجَزيرَةِ ، ويَرْكَبُهُ في النَّهْرِ الْكَبيرِ ، فَلَعَلَّهُ يَنْجو مِنْ وَحْدَتِهِ ، أَوْ يَموتُ مُجاهِداً كَأَصْحابِهِ . ثُمَّ إِنَّهُ طَبَّقَ الفِكْرَةَ ، فَأَخَذَ ماءُ النَّهْرِ يَدْفَعُهُ بِقُوَّةٍ في اتِّجاهٍ لا تُعْرَفُ نِهايَتُهُ ، وَمَضى عَلَيْهِ يَوْمٌ كامِلٌ ، فَإِذا هُوَ عَلى ضِفَّةِ مَدينَةٍ كَبيرَةٍ ، فَوَجَّهَ المَرْكَبَ نَحْوَ الضِّفَّةِ ، ولَمَّا اقْتَرَبَ ، وصارَ مِنَ الصَّعْبِ النُّزولُ ، إِذِ المَاءَ يُرْغِمُهُ عَلى مُتابَعَةِ السَّيْرِ في نَفْسِ الاتِّجاهِ .

تَجَمَّعَ النَّاسُ مِنْ بَعيدٍ ، ثُمَّ رَمَوْا شِباكَهُمْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ



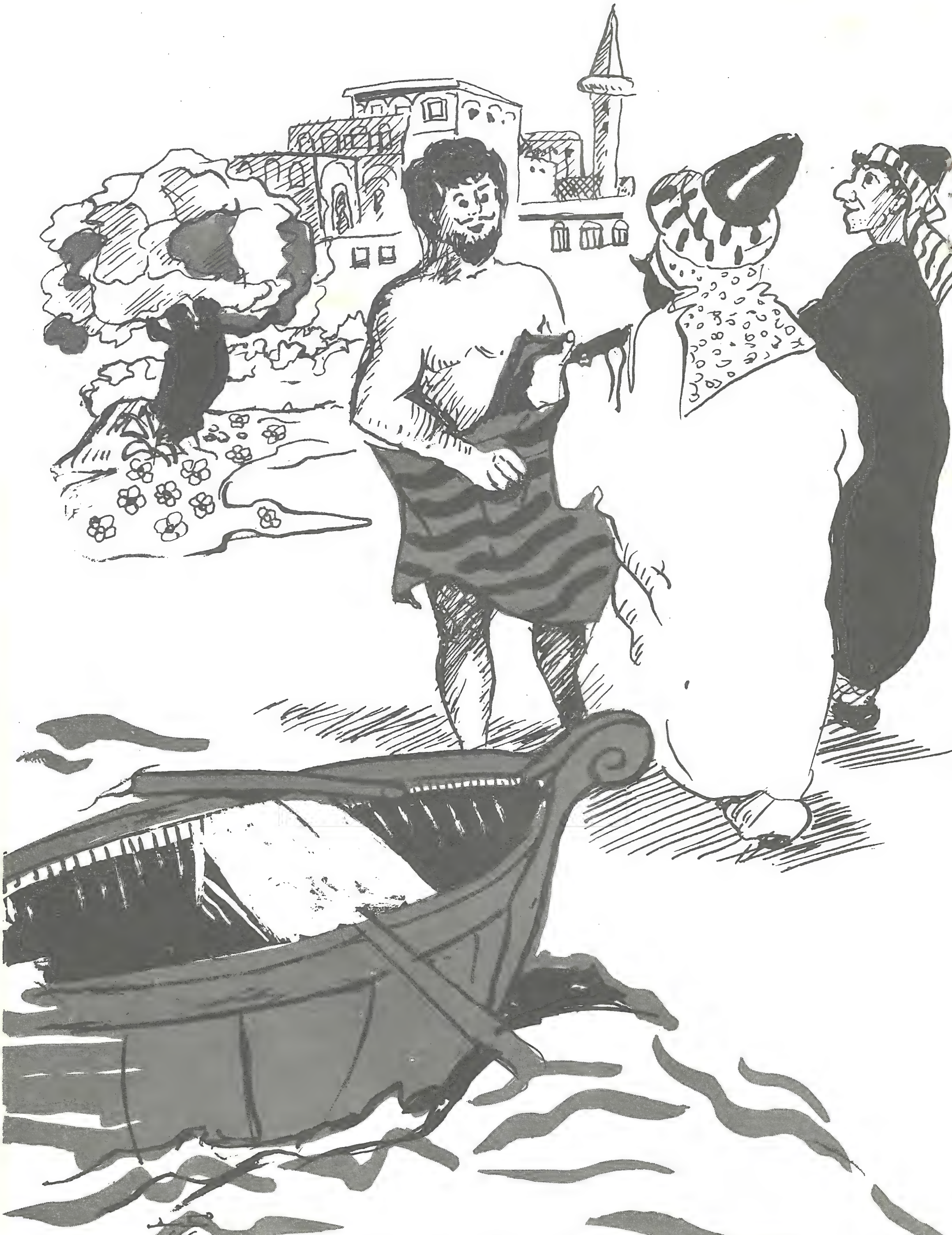
المركب تتقاذفه الأمواج الهائجة

لا يَدْري ، هَلْ يَصيدُونَهُ أمْ يُنْقِذُونَهُ ، وأخيراً أيْقَنَ بالنَّجاةِ ، عِنْدَما تَقَدَّمَ نَحْوَهُ شَيْخٌ كَبيرٌ ، وسَتَرَ عَوْرَتَهُ بِبَعْضِ المَلابِسِ ، فَأَحَسَّ السِّنْدبادُ بالدِّفْءِ والْحَياةِ ولكِنَّهُ أَحسَّ بالْجوعِ كَذلِكَ فَسَقَطَ مَغْشِياً عَلَيْهِ .

وَبَعْدَما اسْتَيْقَظَ وَجَدَ نَفْسَهُ مُكَرَّماً مُنَعَّماً وَسَطَ مَنْزِلٍ كَبيرٍ ، فَأَكَلَ واسْتَراحَ والشَّيْخُ يَحِنُّ إِلَيْهِ ويُرَحِّبُ بِهِ إِلى أَنْ مَضَتْ ثَلاثَةُ أَيّامٍ ، فَقالَ لَهُ الشَّيْخُ :

ـ لَقَدْ آنَسْتَنا يا وَلَدي في هٰذِهِ الأَيّامِ الثَّلاثَةِ وإِنَّنا إِذْ نَشْكُرُكَ عَلى ذلِكَ ، نَحْمَدُ اللهَ عَلى سَلامَتِكَ مِمّا مَرَّ بِكَ مِنْ عَجائِبَ وأَهْوالٍ ، والآنَ هَلْ لَكَ أَنْ تَصْحَبَني إِلى حَيْثُ تَبيعُ بِضاعَتَكَ وتَجْعَلَ مِمّا تَقْبَضُ رَأْسَ مالٍ جَديدٍ لِتِجارَةٍ أُخْرى ؟

تَعَجَّبَ السِّنْدِبادُ مِنْ كَلامِ الشَّيْخِ وَهُوَ لا يَعْرِفُ ماذا



سكان المدينة ينقذون السندباد

يَقْصِدُ مِنْ كَلامِهِ إِذ أَنَّهُ لا يَمْلِكُ بِضاعَةً مُطْلَقاً وَلا يُفَكِّرُ إِلا في النَّجاةِ بِنَفْسِهِ غَيْرَ أَنَّه أَرادَ أَنْ يُجامِلَ الشَّيْخَ فَوافَقَهُ عَلى اقْتِراحِهِ وَمَضَيا مَعاً حَيْثُ أَرادَ الشَّيْخُ فَإِذا مَرْكَبُهُ ما يَزالُ مَحْفوظاً كَما صَنَعَهُ وَإِذا النّاسُ مِنْ حَوْلِهِ مُعْجَبونَ بِذٰلِكَ الزَّوْرَقِ كَاخْتِراعٍ عَجيبٍ ، وَفي الْحينِ أَخَذَ الشَّيْخُ يَعْرِضُ الزَّوْرَقَ لِلْبَيْعِ وَالنّاسُ مِنْ حَوْلِهِ يَتَزايَدونَ إِلى أَنْ وَصَلوا إِلى أَلْفِ دينارٍ . وَعِنْدَها قالَ الشَّيْخُ لِلسِّنْدِبادِ :

— إِذا سَمَحْتَ يا وَلَدِي فَلا تَبِعْ بِضاعَتَكَ الْيَوْمَ وَأَخِّرْها إِلى وَقْتٍ آخَرَ وَإِنْ كُنْتَ تَرْغَبُ في المالِ حالاً فَأَنا أَقْبَلُها مِنْكَ بِأَلْفٍ وَمِئَةِ دينار .

اِنْدَهَشَ السِّنْدِبادُ مِمّا يَجْري حَوْلَهُ مِنْ مُزايَدَةٍ ، وَما يَسْمَعُ مِنْ أَرْقامٍ خَيالِيَّةٍ في شَأْنِ زَوْرَقٍ بَسيطٍ مَصْنوعٍ مِنْ أَعْوادٍ وَأَخْشابٍ في غَيْرِ انْسِجامٍ ولا نِظامٍ وَلَمْ يَعْرِفْ ماذ



السندباد يرحب بعروسه

يَجِبُ أنْ يَقولَ لِصاحِبِـهِ وَوَلِيِّ نِعْمَتِهِ ، فَوافَقَهُ مُبْتَسِماً قـائِلاً :

ــ اصْنَعْ ما تَشاءُ يا سَيِّدي ، فَلَيْسَ لي ما أقُولُ وأنْتَ الّذي أكْرَمْتَني ، وَساعَدْتَني في هذا الْبَلَدِ .

وَبَعْدَ أيّامٍ ، وَكانَ السِّنْدِبادُ قَدْ أَخَذَ ثَمَنَ مَرْكَبِهِ ، جاءَهُ الشَّيْخُ يَعْرِضُ عَلَيْهِ مَشْرُوعاً آخَرَ قائِلاً :

ــ أَنْتَ تَرى يا وَلَدي أنّني قَـدْ أصْبَحْتُ شَيْخاً عاجِزاً عَنِ القِيامِ بِواجِباتي في الْحَياةِ وَلَعَلّي سَأُغادِرُ هذِهِ الدُّنيا بَعْدَ قَليلٍ ، وَلَمّا عَرَفْتُ فيكَ الرَّجُلَ الْقَوِيَّ الشُّجاعَ الْمُغامِرَ الْبَطَلَ أَرَدْتُ أنْ أُزَوِّجَكَ بِابْنَتي فَأَنْتَ أهْلٌ لَها وَأحْسَنُ مَنْ يَصونُ عِرْضي وَيَحْفَظُ شَرَفي ، فَسَوْفَ تُعْجِبُكَ إنْ شاءَ اللهُ وَسَتَبْقى ثَرْوَتي طَبْعاً لَكُما مَعاً ، فَماذا تَرى ؟

اِرْتَبَكَ السِّنْدِبادُ في مَوْقِفِهِ هذا وَتَرَدَّدَ بَيْنَ الرَّفْضِ،خُصوصاً

وأَنَّ الشَّيْخَ يَعْطِفُ عَلَيْهِ كَثيراً ، وَبَيْنَ قبولِ ٱلْعَرْضِ لِمــا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَرِزْقٍ وَجاهٍ وَما قَدْ يَفْرِضُ عَلَيْهِ مِنْ لُزومِ هذَا البَلَدِ وَالاسْتِقْرارِ فيهِ نِهائِيًا ، فَقالَ لِلشَّيْخِ مُشْفِقاً :

ـ وَلٰكِنْ يا سَيِّدي أَوَدُّ أَنْ أَزورَ بَلَدي وَأَتَّصِلَ بِأَهْلي .

فَأَجابَهُ الشَّيْخُ :

ـ لَكَ ما تُريدُ يا وَلَدي، فَسَوْفَ تَكُونُ صاحِبَ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَلَنْ أَفْرِضَ عَلَيْكَ الْبَقاءَ في هذا الْبَلَدِ أَبَداً .

فَأَجابَ السِّنْدِبادُ الشَّيْخَ بِالْقَبُولِ بَعْدَ أَنْ شَكَرَهُ وَقَبَّلَ يَدَيْهِ داعِياً مُحْتَرِماً ، وَفي الحــينِ حَضَرَتِ ٱلْعَروسُ الْجَميلَةُ الفاتِنَةُ تَحْمِلُ حُلِيّاً كَثيرة غالِيَةً وكانَ السِّنْدِبادُ مُسْتَعِـدّاً بِلِباسِهِ وَأَناقَتِهِ ، وَهٰكَذا عاشَ العَروسانِ في أَمانٍ وَاطْمِئْنانٍ .

وَذاتَ يَوْمٍ ماتَ الشَّيْخُ فَقالَ السِّنْدِبادُ : لَقَدْ قُمْتُ بِالْواجِبِ نَحْوَهُ ، وَصارَ لي كُلُّ ما كانَ عِنْدَهُ مِنْ خَدَمٍ وَحاشِيَةٍ ، بَلْ

مِنْ أَموالٍ وَذَخائِر ، ثُمَّ صِرْتُ سَيِّدَ ٱلْقَــوْمِ ، لِاحْتِلالي مَكانَتَهُ بَيْنَ قَوْمِهِ ، فَصِرْتُ أُعاشِرُهُمْ وَأَعْرِفُ ٱلْكَثيرَ عَنْهُمْ ، وَصاروا يَعْتَمِدونَ عَلَيَّ في كَثيرٍ مِنْ أَعْمالِهِمْ . ثُمَّ إِنّي اكْتَشَفْتُ مِنْ أَحْوالِهِمْ أَنَّهُ اذا ما تَمَّ شَهْرٌ مِنَ الزَّمَنِ ، تَغَيَّرَتْ أَحْوالُهُمْ وَتَبَدَّلَتْ أَلْوانُهُمْ وَصاروا يَطيرونَ في الْجَوِّ بِدونِ أَجْنِحَةٍ ، فَعَجِبْتُ لِذٰلِكَ ، وَأَرَدْتُ أَنْ أُجَرِّبَ هٰذِهِ السَّفْرَةَ في أَعالي السَّماء .

فَلَمّا كانَ أَوَّلُ الشَّهْرِ ، اتَّصَلْتُ بِواحِدٍ مِنْهُمْ ، وَرَجَوْتُهُ أَنْ يَحْمِلَني إِلى حَيْثُ يَروحُ ، فَامْتَنَعَ قائِلاً :

ــ إِنَّكَ لا تَقْدِرُ عَلى ذٰلِكَ ، لِأَنَّكَ لَسْتَ مِثْلَنا ، وَسَوْفَ يُصيبُني بَلاءٌ إِذا لَمْ تَعْرِفْ أَنْتَ كَيْفَ تَتَصَرَّفُ .

فَقُلْتُ لَهُ :

ــ يا سَيِّدى ، ماذا عَساني أَصْنَعُ إِلاّ التَّطَلُّعَ والتَّجَوُّلَ

في أجواءِ الفضاءِ ؟ فقَبِلَ ذلِكَ الرَّجلُ على مَضَضٍ وحَملني على كَتِفِهِ وصِرْنا نقْطَعُ المسافاتِ البَعيدَةَ ، وأنا كالحالِمِ في نَوْمٍ عَميقٍ ، وحَصلَتْ لي لَذَّةٌ عُظمى ؛ لَمْ يَذُقْها أَحدٌ مِنْ رِفاقي أبداً ، ونَسيتُ ما مرّ بي مِنْ عَجائِبَ وأهْوالٍ ، وتَمَنَّيْتُ أَنْ أُسافِرَ دائِماً هكَذا مَحْمولاً ، كأنّي أرْكَبُ الطُّيورَ ، فَحَصَلَ لي دَهَشٌ عَجيبٌ ، وظَهَرَتْ لِيَ الأَرْضُ وما فِيها مِنْ مَنازِلَ وبِحارٍ وأنْهارٍ وأشجارٍ ، كأنَّها مَنازِلُ النَّحْلِ لِصِغَرِها وبُعْدِها عَنّي ، فقُلْتُ: سُبْحانَ اللهِ العَظيمِ ، وأخذْتُ باستِمرارٍ بِعظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِه .

وبَيْنَما أنا أُسبِحُ مُتعجّباً ، إذْ خرجَتْ نارٌ قَوِيَّةٌ مُحْرِقَةٌ مِنَ السَّماءِ واتَّجهتْ نَحْوَ سُكّانِ البَلَدِ لِتَحْرِقَهُمْ ، فنزلوا مُسْرِعين، أمّا صاحِبي فقَدْ أبْقاني على رأسِ جَبلٍ عالٍ ، وتَركَني وانْصرَفَ، فصِرْتُ أُصيحُ وأَسْتَغيثُ وأنا لا أدْري ماذا وَقَعَ ، وماذا حصَلَ لِلْقَوْمِ ، ثُمّ إنّي نَدِمْتُ على ما صَدَرَ مِنّي مِنْ فُضول ،

وعاقَبْتُ نَفْسي عَلى الْحَماقَةِ التّي تُؤَدّي بي إلى المَصائِبِ .

بَقيتُ فِي الْجَبَلِ وحْدي ، فظَهَرَ لي غُلامانِ جميلا المَنْظَرِ ، بِيَدَيْهِما قضيبانِ مِنْ ذَهَبٍ ، يَتوكّآنِ عَلَيْهِما ، فَتَقَدَّمْتُ نَحْوَهُما مُسْتَأْنِساً بِهِما ، وطَلَبْتُ مِنْهُما بَعْضَ المَعْلُوماتِ ، فَأَخْبَراني أَنَّهُما مِنْ عِبادِ اللهِ الصّالِحِينَ ، ثُمَّ أَعْطاني أَحَدُهُما قَضيبَهُ الذَّهَبِيَّ ، فَأُعْجِبْتُ بِكَرَمِهِ وَبِجَمالِ الْقَضيبِ وَحُسْنِ صُنْعِهِ ثُمَّ إِنَّهُما غابا عَنِّي فَجْأَةً ، ولَمْ أَدْرِ كَيْفَ كانَ ذَلِكَ ، فرَأَيْتُ عَلى الْفَوْرِ حَيَّةً كَبيرَةً مُدْهِشَةً ، وقَدِ ابْتَلَعَتْ رَجُلاً إلى بَطْنِهِ وَهُوَ يَسْتَغيثُ بِصَوْتٍ عالٍ قائِلاً :

ــ أَغيثوني .. أَغيثوني ، خَلِّصوني مِنْ مُصيبَتي خَلَّصَكُمُ اللهُ .

فَتَقَدَّمْتُ نَحْوَ الْحَيّةِ ، وضَرَبْتُها بِقَضيبِ الذَّهَبِ ، فَأَلْقَتِ الرَّجُلَ عَلى الأَرْضِ ، وَغابَتْ فِي الْحِينِ ، فَعَجِبْتُ مِنْ أَمْرِ هٰذا الْجَبَلِ ، ومِنْ سُكّانِهِ ، وَما يَجْري فيهِ مِنْ عجائِبَ ومَصائِبَ .

أَمَّا الرَّجُلُ ، فَقَدْ تَحَوَّلَ إِلى كَبْشٍ سَمِينٍ ، فَخِفْتُ إِنْ أَنَا اقْتَرَبْتُ مِنْهُ ، أَنْ يَقَعَ لي ما لا تُحْمَدُ عُقْباهُ ، أَوْ أَنْ أَجِدَ نَفْسي مُضْطَرّاً إِلى مُغامَرَةٍ أُخْرى قَدْ تَقْضي عَلى حَياتي ، فَأَسْرَعْتُ هارِباً مِنْ وَجْهِ الْخَروفِ السَّمينِ ، وَأَنا أَذْكُرُ اللهَ وَأُصَلِّي عَلى النَّبِيِّ ، حَتَّى غِبْتُ عَنْهُ نِهائِيّاً ، واخْتَفَيْتُ في غابَةٍ مِنَ الْأَشْجارِ .

أَصابَني جَهْدٌ شَديدٌ ، وَخَوْفٌ كَبيرٌ ، وَاشْتَدَّ بِي الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَحِرْتُ فِيما أَصْنَعُ ، وَلَيْسَ لي مُنْقِذٌ مِمّا أَنَا فيهِ ، فَجَلَسْتُ أُفَكِّرُ في أَمْري ، وَأَبْحَثُ عَنْ خُطَّةٍ تُنْجيني مِنْ مُصيبَتي ، أَوْ تُوصِلُني إِلى أَهْلي ، بَعْدَما فَقَدْتُ زَوْجَتي وَمالي وَراحَتي ، بِسَبَبِ فُضولي وَمُغامَراتي ، وَأَقْسَمْتُ أَلّا أَعودَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْمُغامَراتِ الَّتي سَوْفَ تَقْضي عَلى حَياتي يَوْماً .

وَبَيْنَما أَنا أُفَكِّرُ في أَمْري ، إِذْ خَطَرَ بِبالي وَقَدِ اشْتَدَّ



الأصدقاء يهنئون السندباد بسلامة العودة

بِيَ الْجُوعُ أنْ آكُلَ مِنْ فَوَاكِهِ الْغَابَـةِ ، مَهْما كانَ مَذاقُها وطَعْمُها ، إذْ لَيْسَ لي غَـيْرُ ذلِكَ ، فتَقَدَّمْتُ نَحْوَ شَجَرَةٍ عَظيمَةٍ عَلَيْها فَواكِهُ مُلوَّنَةٌ بَعْضُها أصْفرُ فاقِعٌ ، وبَعْضُها أحْمَرُ قانٍ ، فَأَكَلْتُ مِنَ النَّوْعِ الأحْمَرِ بِاْعتِبارِهِ ناضِجاً ، فَصارَ أنْفي يَطولُ شَيْئاً فَشَيْئاً وشَعْري يَطيرُ بِبطْءٍ ، وَإنْ كُنْتُ قَدْ شَعَرْتُ بِحَلاوَةٍ عَجيبَةٍ لِهَذِهِ الْفاكِهَةِ .

وبَعْدَ بُرْهَةٍ ، أصْبَحَ أنْفي عَجيباً غَريباً ، فَتَشَوَّهَ مَنْظَري وبَكَيْتُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ، وطارَ كُلُّ شَعْري ، فَشَعَـرْتُ بِالْبَرْدِ الشَّديـدِ ، فَرَمَيْتُ مـا كانَ بِيَـدي مِنْ فَواكِـهَ حَمْراءَ وَصِرْتُ أُلاحِظُ حالي ، وَأبْكي مَنْظَري الَّذي كانَ جَميلاً مَحْبوباً لَدَى جَميعِ أهْلي وأصْدِقائي .

وبَعْدَ تَفْكيرٍ طَويلٍ قَرَّرْتُ أنْ آكُلَ مِنَ النَّوْعِ الأصْفرِ اعْتِقاداً مِنّي بِأَنَّهُ لَمْ يَنْضَجْ بَعْدُ ، وَبِأَنَّهُ قَدْ لا يَفْعَلُ ما فَعَلَ النَّوْعُ الأَحْمَرُ ، خُصوصاً وَأَنَّ الْجُوعَ قَدِ اشْتَدَّ بِي مِنْ جَديد وَحَلاوَةُ الفاكِهَةِ ، وَماؤُها يُغْرِيني بِذَلِكَ .

فَتَنَاوَلْتُ الأَصْفَرَ ، فَـإِذا هُوَ أَفْضَلُ وَأَحْسَنُ وأَلَذُّ ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ كَثيراً ، فَإِذا أَنفي يَعودُ لِحالِهِ وإِذا شَعْري يُغَطّي رَأْسي كما كانَ مِنْ قَبْلُ ، فَأَصابَني دَهَشٌ عَظيمٌ ، وَتَعَجَّبْتُ مِنْ أَحْوالِ هذَا الْجَبَلِ مَرَّةً أُخْرى .

ثُمَّ إِنّي حَمَلْتُ مِنْ تِلْكَ ٱلْفَواكِهِ شَيْئاً كَثيراً ، مِنْ أَصْفَرَ وأَحْمَرَ ، لِلمُفاكَهَةِ والمَرَحِ ، وَأَنا لا أَقْطَعُ رَجائي مِنْ رَحْمَـةِ رَبي ، التّي تَسْتَطيعُ أَنْ تُنْقِذَني مِنْ حَيْرَتي ، وَضَياعِي ، فَصِرْتُ أَقْرَأُ مِنْ كِتابِ اللهِ وأُصَلّي عَلى النَّبِيِّ ، وأُسَبِّحُ للهِ وأَذْكُرُه ، وإِذا بِدُخانٍ يَتَصاعَدُ مِنْ حوْلي ، فَابْتَعَدْتُ عَنْهُ ، فَإِذا هُوَ عِفْريتٌ كامِلُ الخِلْقَةِ صاحَ بِصَوْتٍ عالٍ خِلْتُهُ الرَّعْدَ :

ـ لَبَّيْكَ يا سَيِّدي ، أَنَا عَبْدُ اللهِ ، جِئْتُ لِأُنْقِذَكَ مِنْ مُصيبَتِكَ ، وَقَدْ عَلِمْتُ ما جَرى لكَ ، ولِي أَمْرٌ واحِـدٌ يَجِبُ أَنْ أُطَبِّقَهُ ، وَهُوَ أَنْ أُقَدِّمَ لَكَ ما تُريدُ مَرَّةً واحِـدةً ، ثُمَّ أَنْصَرِفُ عَنْكَ ، فَماذا تَطْلُبُ يا سَيِّدي ؟

حَمِدْتُ اللهَ عَلى رَحْمَتِهِ بِعِبادِهِ ، وَتُبْتُ إِلَيْهِ مِمّـــا كُنْتُ أَصْنَعُهُ في بَلَدِي مِنْ لَهْوٍ وَلَعِبٍ وَضِياعِ مـالٍ ، وَحِرْتُ فيما أَطْلُبُهُ مِنْ هذا الْخادِمِ الأَمينِ .

هَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يَحْمِلَني إِلى زَوْجَتي وَمِنْ هُناكَ أَبْحَثُ عَنْ وسيلَةٍ لِلْهروبِ مِنْ ذلِكَ الْبَلَدِ إِلى وَطَني الأَوَّلِ ؟

هَلْ أَطْلُبُ مِنْـــهُ أَنْ يُوصِلَني إِلى وطَني الأَوَّلِ وأَتْرُكُ زَوْجَتي وما تَرَكْتُ لَها مِنْ أَمْوالٍ ، وَخَدَمٍ وَحَشَمٍ ؟

هَلْ أَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُوصِلَها إِلى أَهْلي ، وَأَمْكُثَ هُنا حَتّى يَفْتَحَ اللهُ لي باباً آخَرَ .

وَهـكَذا بَقيتُ مُتَحَــيِّراً في أَمْري ، وَالعِفْريتُ وَاقِفٌ أَمامي كَالصَّوْمَعَةِ ، لا أَكادُ أَرى رَأْسَهُ إِلا بِمَشَقَّةٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ :

ــ إِنّي في حاجَةٍ إِلى أَكْلٍ ، وَلِباسٍ ، وَمالٍ ، ثُمَّ إِنّي أَوَدُّ أَنْ أَصْحَبَ مَعي زَوْجَتي ، وَما تَرَكْتُ لَهـا مِنْ أَمْوالٍ ،

ثُمَّ أُريدُ أنْ أصِلَ إلى بَلَدي الأَوَّلِ وَمَسْقَطِ رَأْسِي بَغْداد ، فَكَيْفَ أَفعَلُ وَأَنْتَ لا تُريدُ أنْ تُساعِدَني إلاّ في أمْرٍ واحِدٍ ؟

أجابَني العِفْريتُ بِصَوْتِهِ الغَليظِ المُزْعِجِ :

ــ ذٰلِكَ لا يُهِمُّني يا سَيِّدي ، أُطْلُبْ شَيْئاً واحِداً ، وَإلاّ بَقيتَ هُنا طُولَ حَياتِكَ .

ثُمَّ إنّي فَكَّرْتُ طَويلاً ، فَوَجَدْتُ أنَّ غِيابي قَدْ طالَ كَثيراً عَنْ بَغْدادَ ، ولاَ يَعْرِفُ أحَدٌ ما حَصَلَ لي مِنْ عَجائِبَ ، وأَخْطارٍ ، وأنَّ أصْحابي قَدْ أكَلَهُمُ الْحُوتُ ، وأنَّ البَضائِعَ والسِّلَعَ قَدْ غَرِقَتْ كُلُّها فَضاعَتْ ، فَيَجْدُرُ بي أنْ أعودَ إلى وَطَني وأنْ أجْتَمِعَ بِأَهْلي ، ويَكْفي أنْ أحْمِلَ لَهُمْ هٰذِهِ الْفاكِهَةَ الْعَجيبَةَ تَذْكاراً لِهٰذِهِ الرِّحْلَةِ الْغَريبَةِ ، ثُمَّ قُلْتُ لِلْعِفْريتِ :

ــ أُريدُ أنْ أصِلَ إلى بَغْدادَ مَوْطِني الْأَوَّلِ ، ولَكَ جَزيلُ الشُّكْرِ يا سَيِّدي .

وبَعْدَ قَليلٍ كُنْتُ بَيْنَ أَهْلي وأَصْحابي ، فَتجمَّعَ النَّاسُ حَوْلي وفِي دارِي ، مُتَعَجِّبينَ مُسْتَفْسِرينَ ، فَأَخْبَرْتُهُمْ بِجَميعِ ما مَرَّ بِي مِنْ أَهْوالٍ ومَصائِبَ ، وَهُمْ مَشْدُوهُونَ بِشَكْلٍ غَريبٍ ، ثُمَّ حَمِدوا اللهَ عَلى سَلامَتي ، وفَرِحوا بِوُصولي وعَوْدَتي إلى الْوَطَنِ .

أَمَّا عَنِ التُّجّارِ الآخَرينَ ، فَقَدْ بَكى أَهْلُهُمْ كَثيراً ، وأقاموا المَآتِمَ في كُلِّ مَكانٍ ، ووَصَلَتْهُمُ التّعازي مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ، ولَمْ يَجِدوا مُواسِياً ، فَحَزِنوا لِذَلِكَ زَمَناً طَويلاً .

انتهت

القصص المدرسية

- الهميان المفقود
- الاخوة الثلاثة
- الأميرة المظلومة
- مغامرات ذكي
- الأميرة في القصر المسحور
- التاجر والعفريت
- الأخلاق الفاضلة
- شرفنطح البليد
- الفرحة الكبرى
- عجائب السندباد
- الكيس العجيب
- الحطاب الطموح
- الرّبوة السّعيدة

نشر : دار الثقافة - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر